المكتبة الخضراء للأطفال

(١٣)

عروس البحر

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة العشرون

دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل . القاهرة ج.م.ع.
هاتف ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

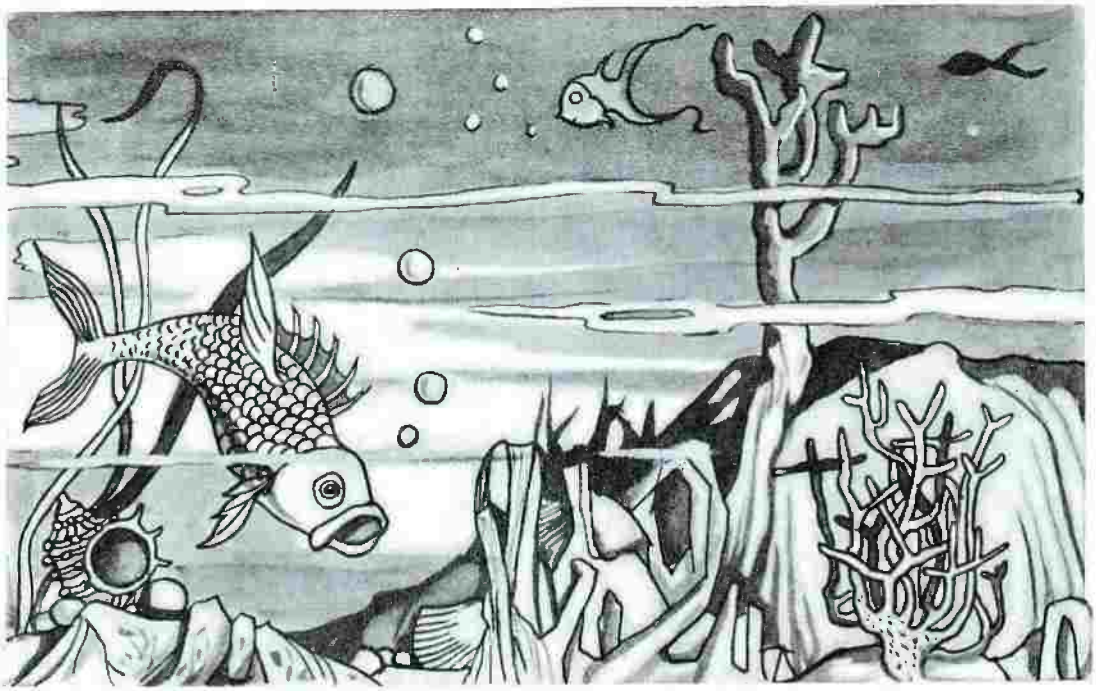

كَانَ الْمَاءِ فِي بَحْرٍ مِنَ الْبِحَارِ الْبَعِيدَةِ ، أَزْرَقَ صَافِياً ، يُحَاكِي زُرْقَةَ السَّمَاءِ وَصَفَاءَ البِلَّوْرِ ، وَكَانَ عُمْقُ ذلِكَ الْبَحْر آلافَ آلافِ الْأَمْتَارِ ، فَمَا مِنْ سَفِينَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْسُوَ عَلَى سَطْحِهِ ، وَلاَ مِنْ مِرْسَاةٍ مَهْمَا طَالَتْ حِبَالُهَا يُمْكِنُ أَنْ تَبْلُغَ قَرَارَهُ .

وَكَانَتْ شُعُوبُ الْمَاءِ تَعِيشُ فِي أَعْمَاقِ هذَا الْبَحْر بَيْنَ غَرِيبِ النَّبَاتِ وَجَمَاعَاتِ السَّمَكِ .

وَكَانَ فِي أَعْمَقِ مَكَانٍ مِنَ الْبَحْر ، قَصْرٌ لِلْمَلِكِ بُنِيَت حِيطَانُهُ مِنَ الْمَرْجَانِ ، وَصُنِعَتْ نَوَافِذُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَصْفَرِ، وَشُيِّدَتْ سُقُوفُهُ مِنَ الصَّدَفِ ، وَفِي جَوْفِ كُلِّ صَدَفَةٍ مِنْهُ لُؤْلُؤَةٌ جَمِيلَةٌ .

وَكَانَ مَلِكُ الْبَحْر قَدْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ، فَنَهَضَتْ أُمُّهُ بِتَدْبِيرِ شُؤُونِ الْقَصْرِ وَالْعِنَايَةِ بِبَنَاتِهِ ، وَعَدَدُهُنَّ سِتُّ أَمِيرَاتٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَجْمَلُ مِنَ الْأُخْرَى ، عَلَى أَنَّ أَصْغَرَهُنَّ كَانَتْ تَفُوقُهُنَّ جَمِيعاً بِالْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ الْخَلَّابِ ، فَمِنْ بَشَرَةٍ نَاعِمَةٍ رَقِيقَةٍ شَفَّافَةٍ كَأَوْرَاقِ الْوَرْدِ ، إِلَى عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِلَوْنِ الْفَيْرُوزِ ، إِلَى شَعْرٍ أَشْقَرَ ذَهَبِيٍّ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَا لأَخَوَاتِهَا قَدَمَانِ مِثْلُ جَمِيعِ البَشَرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جِسْمُهُنَّ يَنْتَهِي بِذَيْلِ سَمَكَةٍ .

وَكَانَتْ هذِهِ الْأَمِيرَةُ عَجِيبَةَ الْأَطْوَارِ كَثِيرَةَ التَّفْكِيرِ ،

تُؤْثِرُ الصَّمْتَ الْعَمِيقَ عَلَى الْكَلامِ وَالثَّرْثَرَةِ ، وَكَانَتْ مُتْعَتُهَا الْكُبْرَى ، أَنْ تُرْهِفَ السَّمْعَ إِلَى الْأَحَادِيثِ وَالْقِصَصِ التَّي تَروِي لَهَا أَخْبَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلَطَالَمَا طَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا أَنْ تُحَدِثَهَا عَنِ السُّفُنِ وَالْمُدُنِ ، وأَنْ تَقُصَّ عَلَيْهَا سِيَرَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ .

وَكَانَ مِمَّا يُثِيرُ دَهْشَتَهَا ، أَنَّ الْغَابَاتِ خُضْرٌ عَلَى وجْهِ الْأَرْضِ وأَنَّ الْأَزْهَارَ فِيهَا يَتَضَوَّعُ مِنْهَا عِطْرٌ لاَ تَبُثُّهُ تَحْتَ الْمَاءِ .

وَمَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّ السَّمَكَ يُغَنّي وَيُغَرِّدُ وَيَتَنَقَّلُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ ، وَكَانَتْ جَدَّتُهَا هِيَ الَّتي أَطْلَقَتْ اسْمَ السَّمَكِ عَلَى الْعَصَافِيرِ ، حَتَّى تُقَرِّبَهَا مِنْ فَهْمِ الْأَمِيرَةِ فَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا :

– « عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِكِ ، فَسَوْفَ

أَسْمَحُ لَكِ أَنْ تَصْعَدِي إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَأَنْ تَجْلِسِي فَوْقَ الصُّخُورِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ لِتُشَاهِدِي السُّفُنَ الْكَبِيرَةَ وَهِيَ تَمْخُرُ عُبَابَ الْمَاءِ ، وَلِكَيْ تَرَيْ بِعَيْنَيْكِ الْمُدُنَ وَالْغَابَاتِ وَتَعْرِفِيهَا عَنْ كَثَبٍ ، فَانْتَظِرِي نَوْبَتَكِ بَعْدَ أَخَوَاتِكِ»

وَكَانَتْ أَكْبَرُ الْأَمِيرَاتِ سَتَبْلُغُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا بَعْدَ عَامٍ ، وَلَمَّا كَانَ فَرْقُ السِّنِّ بَيْنَ كُلِّ أَمِيرَةٍ وَأُخْتِهَا سَنَةً وَاحِدَةً ؛ فَكَانَ لابُدَّ لأَصْغَرِ الْأَمِيرَاتِ مِنْ أَنْ تَنْتَظِرَ خَمْسَ سَنَوَاتٍ أُخْرَى لِتَبْلُغَ ذلِكَ الْعُمْرَ وَتَقُومَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ .

وَتَوَاعَدَتِ الْأَمِيرَاتُ السِّتُّ أَنْ تَحْكِيَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لأَخَوَاتِهَا عِنْدَ عَوْدَتِهَا ، أَخْبَارَ رِحْلَتِهَا ، وَتَصِفَ لَهُنَّ مَا تَكُونُ قَدْ رَأَتْهُ مِنْ عَجَائِبَ ، فَكُلُّهُنَّ كُنَّ يَتَحَرَّقْنَ شَوْقاً إِلَى الْعِلْمِ

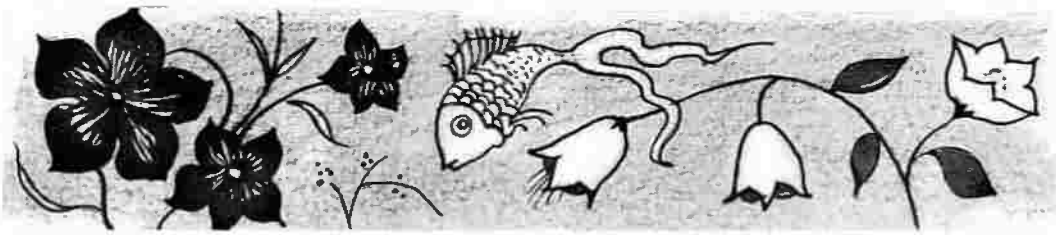

وَالْمَعْرِفَةَ ، وَلاسِيَّمَا أُخْتُهُنَّ الصُّغْرَى ، فَقَدْ كَانَ يَدْفَعُهَا الْفُضُولُ وَالرَّغْبَةُ فِي الْمَعَارِفِ ، إِلَى أَنْ تَجْلِسَ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي قُرْبَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ فِي غُرْفَتِهَا ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَشِفَّ مَا وَرَاءَ ذلِكَ الْمَاءِ الْأَزْرَقِ الَّذِي تَضْطَرِبُ فِيهِ الْأَسْمَاكُ ، فَكَثِيراً مَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَلَكِنْ فِي شَكْلٍ مُشَوَّهٍ بِسَبَبِ طَبَقَاتِ الْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَحْجُبُ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ عَنْ أَنْ تَبْدُوَ لِلأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ فِي صَحِيحِ شَكْلِهَا وَبَاهِرِ لأْلائِهَا .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَبَلَغَتِ الْعَرُوسُ الْكَبِيرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ،

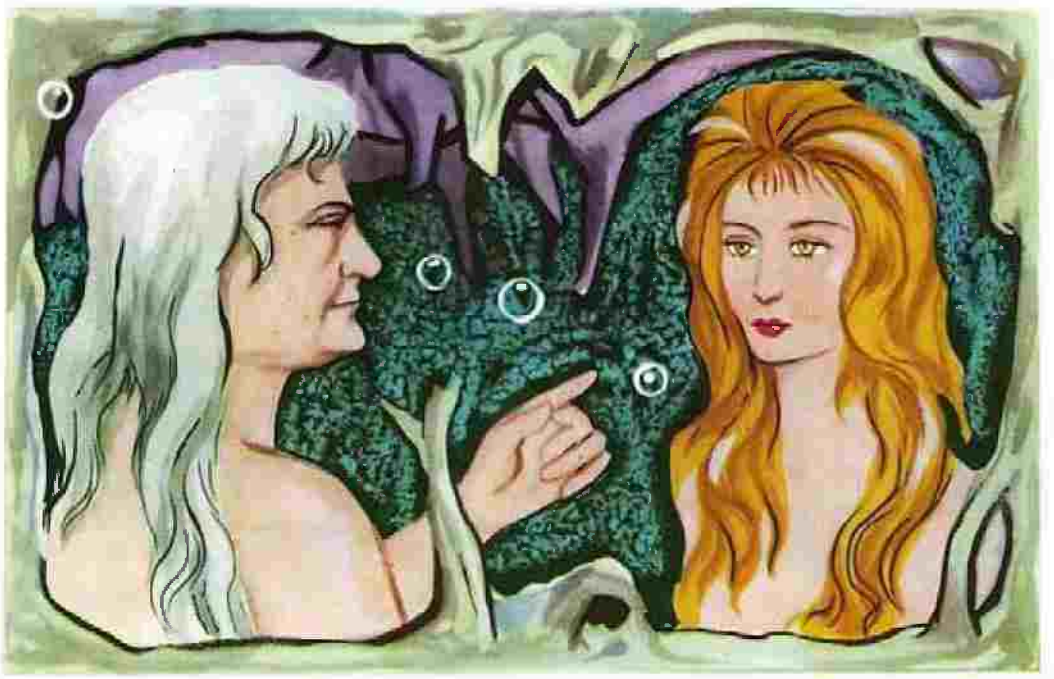

فَهَبَّتْ تَقُومُ بِرِحْلَتِهَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا رَجَعَتْ كَانَتْ جُعْبَتُهَا مَمْلُوءَةً بِالْحَوَادِثِ وَالْأَخْبَارِ ، سَرَدَتْهَا عَلَى أَسْمَاعِ شَقِيقَاتِهَا وَهُنَّ يَسْتَمِعْنَ لَهَا فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ وَاسْتِغْرَابٍ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ فِيمَا قَالَتْ :

– « مَا أَجْمَلَ الشَّوَاطِئَ مَفْرُوشَةَ بِالرِّمَالِ تَتَكَسَّرُ عِنْدَهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ ! وَمَا أَرْوَعَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَقُومُ وَرَاءَهَا حِينَ يَغْمُرُهَا الْقَمَرُ بِضِيَائِهِ ، وَيَكْسُوهَا بِوِشَاحٍ أَبْيَضَ ! بَلْ مَا أَبْهَى الْأَنْوَارَ تَسْطَعُ مِنَ الْمَنَازِلِ ، حَتَّى لَيَحْسَبُهَا الرَّائِي كَوَاكِبَ لا تُعَدُّ وَلاتُحْصَى» .

وَفِي الْعَامِ التَّالِي سَمَحَتْ الْجَدَّةُ لِلأَمِيرَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنْ تَصْعَدَ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُقِ ، فَخَلَبَ هذَا الْمَشْهَدُ السَّاحِرُ لُبَّهَا ، وَوَصَفَتْهُ لِشَقِيقَاتِهَا بَعْدَ رُجُوعِهَا

وَهِيَ تَقُولُ :

– « كَانَتِ السَّمَاءُ تُشْبِهُ سَبِيكَةً مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَتِ السُّحُبُ الْمُتَنَاثِرَةُ فِيهَا مَصْبُوغَةً بِمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ وَبَنَفْسَجِيّ ، وَكَانَ سِحْرُ ذلِكَ الْجَمَالِ فَوْقَ ما يَتَوَهَّمُهُ الْخَيَالُ، وَكُنْتُ أَرَى فِي وَسَطِ تِلْكَ السُّحُبِ جَمَاعَةً مِنَ الطُّيُورِ الْبِيض مُتَّجِهَةً إِلَى الشَّمْسِ كَأَنَّهَا شِرَاعٌ أَبْيَضُ يَتَحَرَّكُ . وَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنَا أيضاً أَنْ أَسْبَحَ إِلَى ذلِكَ الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ ، وَلكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا غَابَ وَغَابَتْ مَعَهُ السُّحُبُ ، وَاخْتَفَتْ بَعْدَهَا الْأَشِعَّةُ الْوَرْدِيَّةُ الَّتي كَانَتْ تَصْبِغُ وَجْهَ الْبَحْر ...» .

وَجَاءَتْ نَوْبَةُ الْعَرُوس الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ أَشْجَعَ أَخَوَاتِهَا وَأَجْرَأَهُنَّ ، فَاجْتَازَتْ مَصَبَّ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، وَسَبَحَتْ فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً تُمَتِّعُ نَظَرَهَا التِّلَالُ الخُضْر وَكُرُومُ الْعِنَبِ، وَتُثِيرُ إِعْجَابَهَا الْمَزَارِعُ وَالْغَابَاتُ وَمَا شُيِّدَ فِيهَا مِنْ دُورٍ

وَقُصُورٍ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنْ رَوْعَةِ الزُّخْرُفِ وَجَمَالِ الْبِنَاءِ ، وَيُشَنِّفُ أُذُنَيْهَا تَغْرِيدُ الْبَلابِلِ بِأَلْحَانِهَا الْعَذْبَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي تَسْحَرُ الفُؤَادَ ، وَكَانَتْ عِنْدَمَا تَلْفَحُ وَجْهَهَا حَرَارَةُ الشَّمْسِ ، تَغْطِسُ فِي الْمَاءِ قَلِيلاً لِتُبَلِّلَهُ وَتُرَطِّبَهُ ثُمَّ تَظْهَرُ ثَانِيَةً عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ مُنْتَعِشَةً مُغْتَبِطَةً ...» .

وَلَمْ تَكُنِ الْأُخْتُ الرَّابِعَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، فَآثَرَتْ أَنْ تَبْقَى فِي وَسَطِ الْبَحْرِ ، حَيْثُ يَمْتَدُّ الْمَاءِ إِلَى مَرْمَى الْبَصَرِ ، وَتَسْتَدِيرُ السَّمَاءُ فَوْقَهُ كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنْ زُجَاجٍ ، فَلَمَحَتْ فِي الْأُفُقِ الْبَعِيدِ مَجْمُوعَةً مِنَ السُّفُنِ ، جَعَلَهَا الْبُعْدُ لا تَزِيدُ عَنْ حَجْمِ الطَّيْرِ ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ حَوْلَهَا الْحِيتَانُ وَهِيَ تَقْذِفُ أَعْمِدَةَ الْمَاءِ مِنْ مَنَاخِرِهَا .

وَوَقَعَتْ رِحْلَةُ الْعَرُوسِ الْخَامِسَةِ فِي قَلْبِ الشِّتَاءِ ، فَرَأَتْ مَا لَمْ تَرَهُ شَقِيقَاتُهَا : رَأَتِ الْبَحْرَ أَخْضَرَ اللَّوْنِ ، تَعُومُ فِيهِ

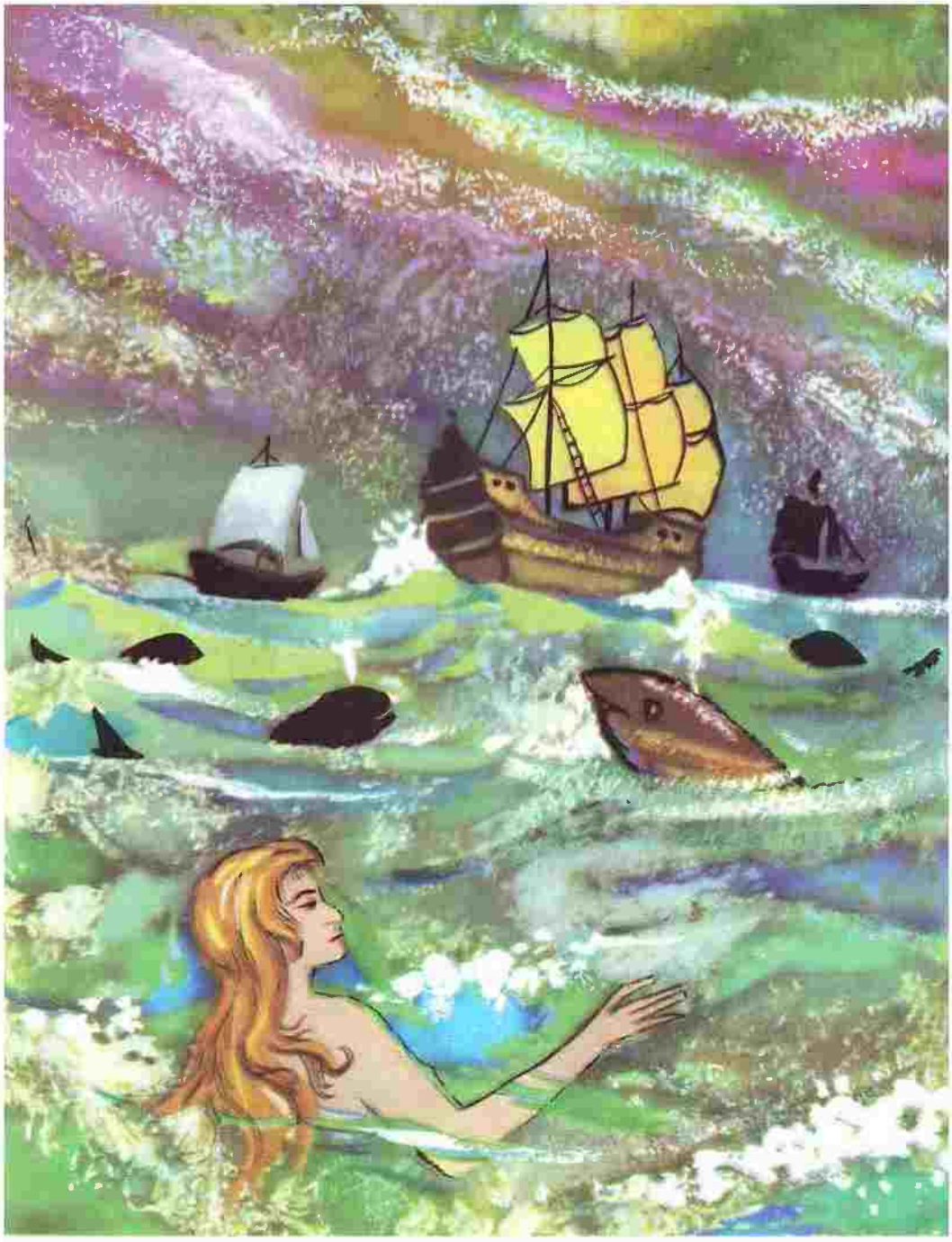

جِبَالٌ مِنَ الْجَلِيدِ ، غَرِيبَةُ الشَّكْلِ بَرَّاقَةٌ لَمَّاعَةٌ لَمَعَانَ الْأَلْمَاسِ .

وَيَوْمَ بَلَغَتْ أَصْغَرُ الْعَرَائِسِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا جَدَّتُهَا تُمَشِّطُهَا وَتُزَيِّنُهَا ، وَتَجْلُوهَا أَحْسَنَ جَلْوَةٍ ، عَلَى غِرَارِ مَا فَعَلَتْهُ مَعَ أَخَوَاتِهَا السَّابِقَاتِ ، وَلَمْ تَكَدِ الْجَدَّةُ تَفْرَغُ مِنْ عَمَلِهَا حَتَّى قَالَتْ لَهَا الْعَرُوس الصَّغِيرَةُ :

« وَدَاعاً يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ ...»

وَانْفَلَتَتْ مِنْهَا صَاعِدَةً إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ خَفِيفَةً رَشِيقَةً .

وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ ، كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ غَابَتْ مُنْذُ لَحَظَاتٍ ، وَالسُّحُبُ لا تَزَالُ مُلَوَّنَةً بِلَوْنِ الْوَرْدِ وَالذَّهَبِ ، وَكَانَ كَوْكَبُ الْمَسَاءِ يَلْمَعُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ ، فِي حِينَ كَانَ الْبَحْرُ سَاكِناً ، وَالْهَوَاءُ نَدِيًّا عَلِيلاً .

وَصَادَفَ أَنْ بَرَزَتْ عَرُوس الْبَحْرِ مِنَ الْمَاءِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَفِينَةٍ لَمْ يَكُنْ مَنْشُوراً مِنْهَا غَيْرُ شِرَاعٍ وَاحِدٍ بِسَبَبِ

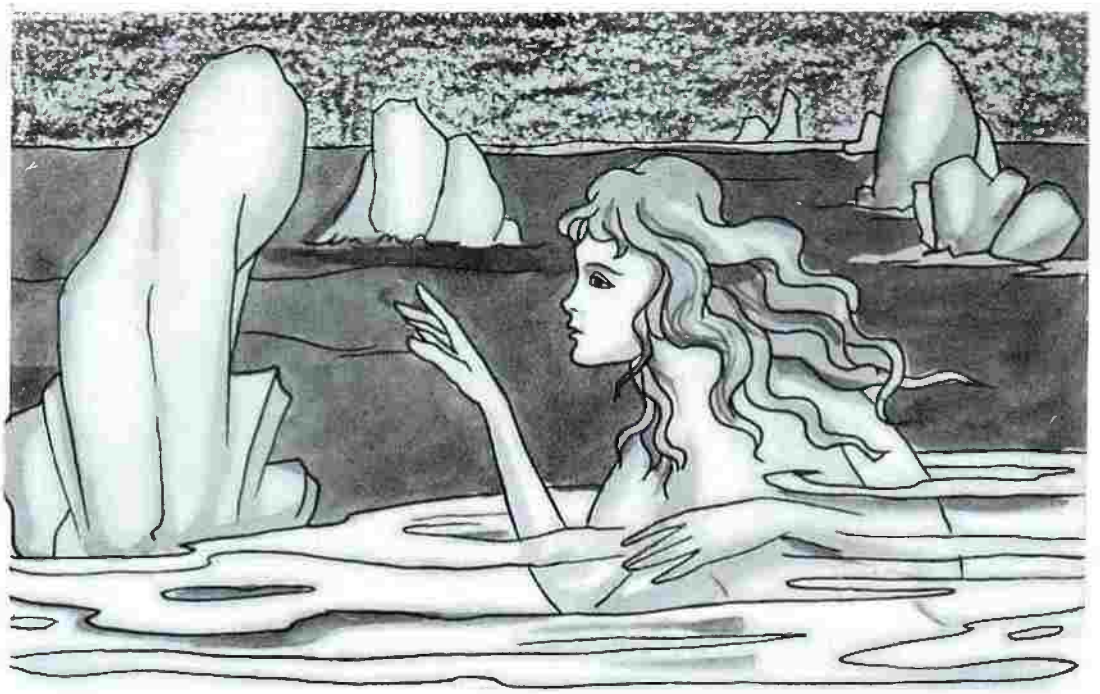

هُدُوءِ الْبَحْر ، فَحَدَّقَتْ فِيهَا فَرَأَتْ نَفَراً مِنَ الْمَلاحِينَ جَالِسِينَ فَوْقَ الْحِبَالِ الْمَلْفُوفَةِ فِي أَرْضِهَا ، يُغَنُّونَ وَيَعْزِفُونَ عَلَى آلاتِ الطَّرَبِ ، وَحِينَمَا هَبَطَ الْمَسَاءُ ، أُوقِدَتْ مِئَاتٌ مِنَ الْمَصَابِيحَ الْمُلَوَّنَةِ كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى أَسَاطِينِ السَّفِينَةِ .

فَسَبَحَتِ الْعَرُوس الصَّغِيرَةُ إِلَى نَافِذَةٍ مِنَ نَوَافِذِ السَّفِينَةِ ، وَكَانَتْ كُلَّمَا عَلا بِهَا الْمَوْجُ ، رَأَتْ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَ النَّافِذَةِ الشَّفَّافِ ، غُرْفَةً فَسِيحَةً اجْتَمَعَ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ يَرْتَدُونَ

الْمَلابِسَ الْمُزَرْكَشَةَ .

وَكَانَ أَجْمَلُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ بِزَّةً أَمِيراً شَابًّا أَسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ ، مُسْتَرْسِلَ الشَّعْرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَلاحُونَ يَرْقُصُونَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، صَعِدَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ إِلَيْهِمْ ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ الرَّقْصِ ، وَأَطْلَقُوا مِئَاتٍ مِنَ السِّهَامِ النَّارِيَّةِ أَنَارَتِ الفَضَاءَ ، فَتَمَلَّكَ الرُّعْبُ عَرُوسَ الْبَحْرِ، وَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ الفُضُولَ دَفَعَهَا ثَانِيَةً إِلَى وَجْهِ الْبَحْرِ، فَرَأَتِ النُّجُومَ تَتَسَاقَطُ عَلَيْهِ مُنْهَمِرَةً انْهِمَارَ الْمَطَرِ ، فَسُرَّتْ مِنْ ذلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ ، وَعَلِمَتْ أَنْ لا مَجَالَ لِلْخَوْفِ ، وَأَنَّ الْقَوْمُ يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ الْأَمِيرُ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَهِدَتْ قَطُّ مِثْلَ ذلِكَ الاِحْتِفَالِ ، فَقَدْ تَبِعَ تَسَاقُطَ النُّجُومِ شُمُوسٌ تَدُورُ، وَمَنَاطِيدُ مُنِيرَةٌ تَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ، مِمَّا جَعَلَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْهَادِئِ شُعْلَةً تَضطَّرِمُ .

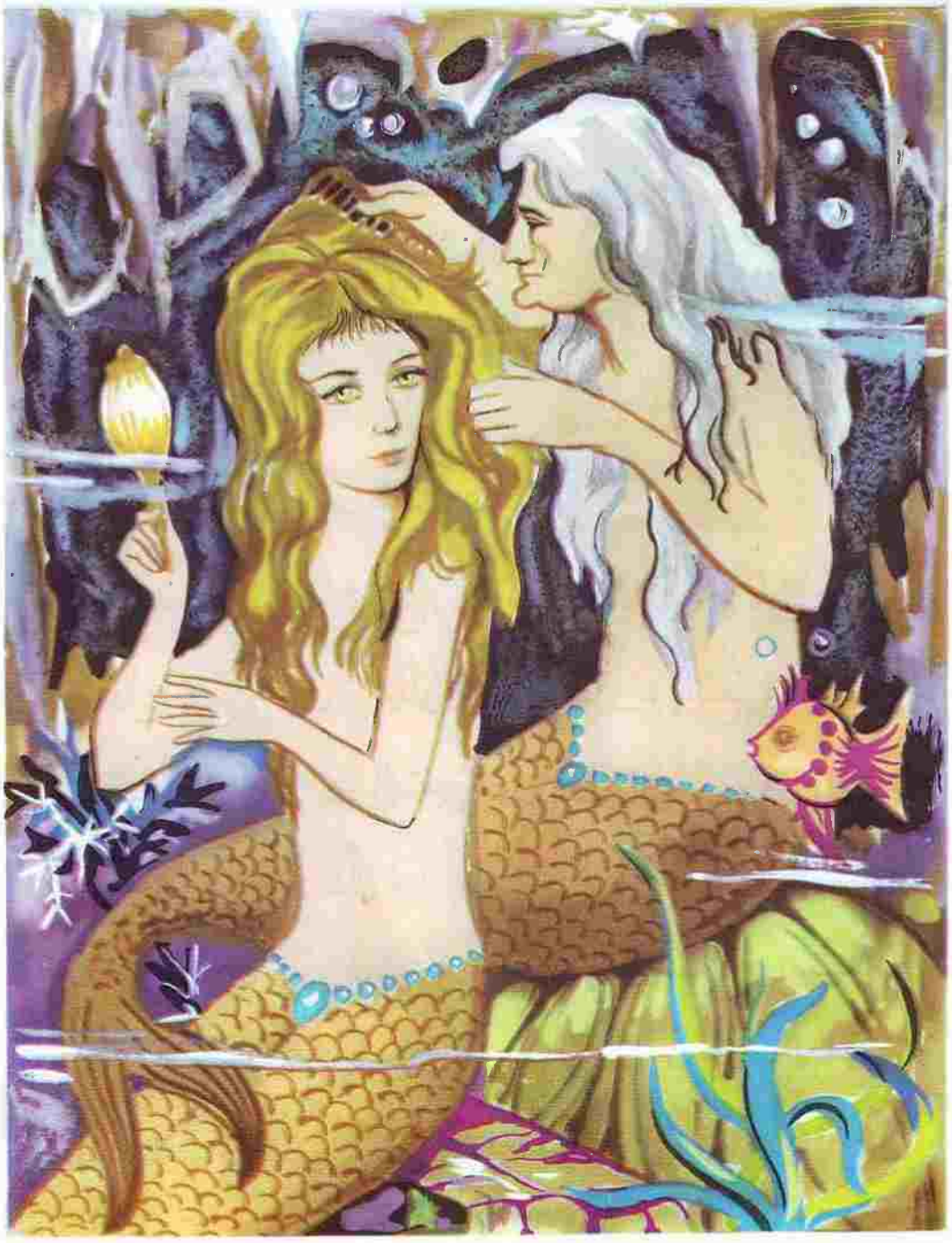

ثُمَّ شَهِدَتِ الْأَمِيرُ الْجَمِيلَ يُصَافِحُ جَمِيعَ النَّاسِ ، وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ وَيَبْتَسِمُ لَهُمْ .

وَبَدَأَ الْبَحْرُ بَعْدَ ذلِكَ يَهِيجُ وَيَثُورُ ، وَأَخَذَتِ الْأَمْوَاجُ تَتَجَمَّعُ مُرْغِيَةً مُزْبِدَةً ، وَطَفِقَتِ السُّحُبُ السُّودُ تُغَطِّي وَجْهَ السَّمَاءِ ، وَمَا عَتَّمَ الْبَرْقُ أَنْ لَمَعَ فِي الْأُفُقِ ، وَأَعْقَبَهُ دَوِيُّ الرَّعْدِ ، وَهُبُوبُ عَاصِفَةٍ هَوْجَاءَ .

فَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَتَرَنَّحُ عَلَى جَانِبَيْهَا تَارَةً ، وَتَلْطِمُهَا جِبَالُ الْأَمْوَاجِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَتَعْلُو إِلَى قِمَمِهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ فِي أَحْضَانِهَا .

وَفَرِحَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِهذِهِ الرِّحْلَةِ الْمُضطَّرِبَةِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ طَقْطَقَةَ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ ، وَرَأَتِ السَّارِيَةَ قَدْ تَقَصَّفَتْ وَهَوَتْ مُتَحَطِّمَةً ، وَشَاهَدَتِ السَّفِينَةَ قَدْ مَالَ جَانِبُهَا وَتَدَفَّقَتِ الْمِيَاهُ إِلَيْهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، أَدْرَكَتْ عِنْدَئِذٍ مَعْنَى الْخَطَرِ ، وَاضْطُرَّتْ أَنْ تَتَدَارَى مِنْ قِطَعِ

الْخَشَبِ الَّتي كَانَتْ تَنْفَصِلُ عَنِ السَّفِينَةِ وَتَتَقَاذَفُهَا الْأَمْوَاجُ .

وَسَادَ الْهَرْجُ وَالْمَرْجُ فِي السَّفِينَةِ ، ثُمَّ انْشَقَّتْ وَغَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ بِمَنْ فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَرَأَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ الْأَمِيرُ الشَّابَّ يَنْحَدِرُ فِي طَيَّاتِ الْمَاءِ ، فَاغْتَبَطَتْ كُلَّ ا الاغْتِبَاطِ، وَظَنَّتْ أَنَّ الْأَمِيرُ سَيَنْزِلُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ ، وَلَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ أَنَّ الْبَشَرَ لا يَعِيشُونَ فِي الْمَاءِ ، فَغَاصَتْ فِي الْبَحْرِ مَثْنَى وَثُلاثَ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْأَمِيرُ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ

إِلَى الْحَياةِ ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهُ فَوْقَ الْمَاءِ ، وَاسْتَسْلَمَتْ لِمَشِيئَةِ الْمَوْجِ يَدْفَعُهَا حَيثُ شَاءَ .

وَطَلَعَ الصُّبْحُ فِي الْيَوم التَّالِي عَنْ نَهَارٍ جَمِيلٍ ، أَشْرَقَتْ فِيهِ الشَّمْسُ ، وَدَاعَبَتْ أَشِعَّتُها وَجْهَ الْأَمِيرُ الشَّابِّ ، فَعَادَ قَلْبُهُ يَنْبِضُ بِالْحَياةِ ، وَكَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ البَرِّ ، فَسَارَت بِهِ إِلَى الشَّاطِئَ ، وَمَدَّدَتْهُ فَوْقَ صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ صُخُورِهِ .

وَلَمَحَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عِنْدَئِذٍ ، سِرْباً مِنَ الْفَتَيَات يَتَمَشَّيْنَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَرَجَعَتْ تَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ ، وَاخْتَبَأَتْ وَرَاءَ بَعْضِ الصُّخُورِ لِتَرَى مَاذَا يَحْدُثُ لِلأَمِيرِ الْمِسْكِينِ .

فَمَرَّتْ بِهِ فَتَاةٌ مِنْهُنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَمْ تَكَدْ تَرَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، حَتَّى جَرَتْ مُسْرِعَةً وَعَادَتْ يَصْحَبُهَا نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ ، أَخَذُوا يُسْعِفُونَ الْأَمِيرُ بِمُخْتَلِف أَنْوَاعِ الْإِسْعَافِ ،

ثُمَّ رَأَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ قَدِ اسْتَعَادَ حَوَاسَّهُ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَابْتَسَمَ لِمَنْ كَانُوا يُحِيطُونَ بِهِ .

وَنَهَضَ بَعْدَ ذلِكَ ، وَاتَّجَهَ إِلَى قَصْرِهِ ، فَعَادَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ حَزِينَةً كَئِيبَةً إِلَى قَصْرِ وَالِدِهَا .

وَكَانَتْ عَرُوسُنَا الصُّغْرَى يَغْلِبُ عَلَى طَبْعِهَا السُّكُوتُ وَالتَّفْكِيرُ، فَازْدَادَتِ اعْتِصَاماً بِهِمَا بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنْ رِحْلَتِهَا ، وَعَبَثاً حَاوَلَتْ شَقِيقَاتُهَا أَنْ يَعْرِفْنَ مِنْهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُهَا

فِي عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلكِنَّهَا الْتَزَمَتِ الصَّمْتَ ، وَلَمْ تَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ .

وَكَثِيراً مَا ذَهَبَتْ صَبَاحَ مَسَاءَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَتِ الْأَمِيرُ ، لَعَلَّهَا تَرَاهُ ، وَلكِنْ خَابَ فَأْلُهَا فَكَانَتْ تَعُودُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَنَفْسُهَا أَعْظَمُ حُزْناً وَأَشَدُّ لَوْعَةً .

وَضَاقَ صَدْرُ الْعَرُوسِ الصُّغْرَى بِسِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، وَثَقُلَتْ عَلَيْهَا وَطْأَةُ الْحَيَاةِ ، فَأَفْضَتْ بِحَالِهَا إِلَى إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا ، وَنَقَلَتْهُ هذِهِ إِلَى الشَّقِيقَاتِ الْأُخْرَيَاتِ ، حتَّى ذَاعَ بَيْنَهُنَّ جَمِيعًا .

وَمُنْذُ ذلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى تُكْثِرُ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَى قَصْرِ الْأَمِيرُ صَبَاحاً وَمَسَاءً ، وَتَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَمَضَتْ بِهَا الْجُرْأَةُ إِلَى الْجُلُوسِ أَحْيَاناً تَحْتَ شُرْفَةِ الْقَصْرِ الْمُنْعَكِسِ ظِلُّهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ .

وَكَانَتْ مِنْ مَوْقِعِهَا ذَاكَ ، وَالْقَمَرُ نَاشِرٌ ضِيَاءَهُ ، تَرَى

الْأَمِيرُ فِي قَصْرِهِ ، جَالِسًا فِي غُرْفَتِهِ حِيناً ، ومحاطًا بِالصِّحَابِ حِينًا آخَرَ .

وَلَطَالَمَا رَأَتْهُ قَدْ رَكِبَ وَهؤُلاءِ الصِّحَابَ ، سَفِينَةً فَاخِرَةً مُزَيَّنَةً بِالْأَعلامِ ، وَمَرُّوا بِالْقُرْبِ مِنْهَا مُتَمَتِّعِينَ بِنُزْهَةٍ بَحْرِيَّةٍ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَكَانُوا إِذَا لَمَحُوا غِطَاءَهَا الْأَبْيَضَ يَخْفِقُ بَيْنَ الْقَصَبِ الْأَخْضَرِ ، حَسِبُوهَا بَجَعَةً بَيْضَاءَ قَدْ بَسَطَتْ جَنَاحَيْهَا .

وَازْدَادَتِ العَرُوسُ الصُّغْرَى يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ مَحَبَّةً لِلْبَشَرِ، وَرَغْبَةً فِي الارْتِفَاعِ إِلَيْهِمْ ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ

مُخْتَلِفِ شُؤُونِهِمْ ، وَلَمَّا عَجَزَتْ شَقِيقَاتُهَا عَنْ إِشْبَاعِ فُضُولِهَا وَالْإِجَابَةِ عَنْ آلَافِ الْأَسْئِلَةِ التَّي كَانَتْ تَطْرَحُهَا عَلَيْهِنَّ ، انْقَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا تَلْتَمِسُ عِنْدَهَا الْخَبَرَ الْيَقِينَ .

فَسَأَلَتْهَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلَةً :

– « إِذَا لَمْ يُصَبْ بَنُو الْبَشَرِ بالْغَرَقِ ، فَهَلْ يَعِيشُونَ أَبَداً ؟ أَفَلا يَمُوتُونَ كَمَا نَمُوتُ نَحْنُ ؟»

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

– « إِنَّهُمْ وَلا شَكَّ يَمُوتُونَ ، وَإِنَّ حَيَاتَهُمْ لأَقْصَرُ مِنْ حَيَاتِنَا ، فَنَحْنُ قَدْ نَعِيشُ أَحْيَاناً ثَلاثَ مِئَةِ عَامٍ ، وَنَتَحَوَّلُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى زَبَدٍ ، فَرُوحُنَا غَيْرُ خَالِدَةٍ ، وَوُجُودُنَا يَنْتَهِي بِالْمَوْتِ ، وَنَحْنُ أَشْبَهُ بِالْقَصَبِ الْأَخْضَرِ ، فَإِذَا مَا قُطِعَ يَبِسَ وَفَقَدَ اخْضِرَارَهُ ، أَمَّا بَنُو الإِنْسَانِ فَلَهُمْ نَفْسٌ خَالِدَةٌ تَحْيَا بَعْدَ أَنْ يَحُولَ الْجَسَدُ مِنْهُمْ إِلَى تُرَابٍ ، وَهذِهِ النَّفْسُ تَرْقَى عَلَى أَجْنِحَةِ الْهَوَاءِ إِلَى النُّجُومِ السَّاطِعَةِ ، فَمِثْلَمَا نَرْتَفِعُ نَحْنُ مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ بِلادِ الْبَشَرِ ، يَرْتَفِعُونَ هُمْ إِلَى أَمْكِنَةٍ جَمِيلَةٍ وَاسِعَةٍ لا تَرقَى إِلَيْهَا شُعُوبُ الْمَاءِ».

سَمِعَتِ العَرُوسُ الصُّغْرَى هذَا الْحَدِيثَ بِشَوْقٍ وَانْتِبَاهٍ

ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ حَزِينَةٌ :

– « وَلِمَاذَا لا نَنْعَمُ نَحْنُ بِنَفْسٍ خَالِدَةٍ ؟ أَفَلَيْسَتْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ أَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ أَكْسِبَ نَفْساً خَالِدَةً ؟» .

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

– « هُنَاكَ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلكِنَّهَا فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلِ ، وَهِيَ أَنْ يُحِبَّكِ رَجُلٌ مِنَ الرِّجَالِ حُبًّا عَمِيقاً بَلِيغاً ، فَتُصْبِحِي أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، فَإِذَا تَعَلَّقَ بِكِ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَضَمَّ رَجُلُ الدِّينِ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى يَدِكِ الْيُمْنَى ، وَنَذَرَ لَكِ وَفَاءً لا يَزُولُ فَحِينَئِذٍ تَسْرِي رُوحُهُ إِلَى جَسَدِكِ وَتَنْتَظِمِينَ فِي سَعَادَةِ الْبَشَرِ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ ! فَهذَا الَّذِي نَعُدُّهُ ، نَحْنُ سُكَّانَ الْمَاءِ ، عُنْوَانَ الْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَهُوَ ذَيْلُ السَّمَكَةِ الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ أَجْسَادُنَا ، يَعُدُّونَهُ فِي الْأَرْضِ أَكْرَهَ الْأَشْيَاءِ وَأَقْبَحَهَا» .

فَنَظَرَتِ العَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى ذَيْلِهَا ، وَتَنَهَّدَتْ تَنَهُّدَةً عَمِيقَةً أَعْرَبَتْ بِهَا عَنْ مَبْلَغِ الْحُزْنِ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهَا .

فَاسْتَأْنَفَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ كَلامَهَا وَقَالَتْ :

– « عَلَيْنَا أَنْ نَفْرَحَ وَنَغْتَبِطَ ، وَأَنْ نَقْفِزَ وَنَلْهُوَ ، مَا وَسِعَنَا الْقَفْزُ وَاللَّهْوُ وَالْفَرَحُ ، فِي خِلالِ الْمِئَاتِ الثَّلاثِ مِنْ حَيَاتِنَا ، فَهِيَ فَتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ طَوِيلَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَلْيَكُنْ بَعْدَهَا مَا يَكُونُ» .

فَتَعَزَّتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى بِهذاَ الْحَدِيثِ ، وَقَضَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ تُغَنِّي وَتَلْهُو ، حَتَّى إِذَا عَادَتْ تُفَكِّرُ فِي الْأَمِيرُ الْجَمِيلِ وَفِي نَفْسِهِ الْخَالِدَةِ ، عَاوَدَهَا الْحُزْنُ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْغِنَاءِ وَالضَّحِكِ ، وَكَانَتْ لا تُلْفَى إِلا مَهْمُومَةً مُفَكِّرَةً .

وَخَرَجَتْ يَوْماً مِنَ الْقَصْرِ ، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :

– « لِمَ لا أَذْهَبُ إِلَى سَاحِرَةِ الْبَحْرِ ، وَإِنْ كَرِهْتُ حَتَّى

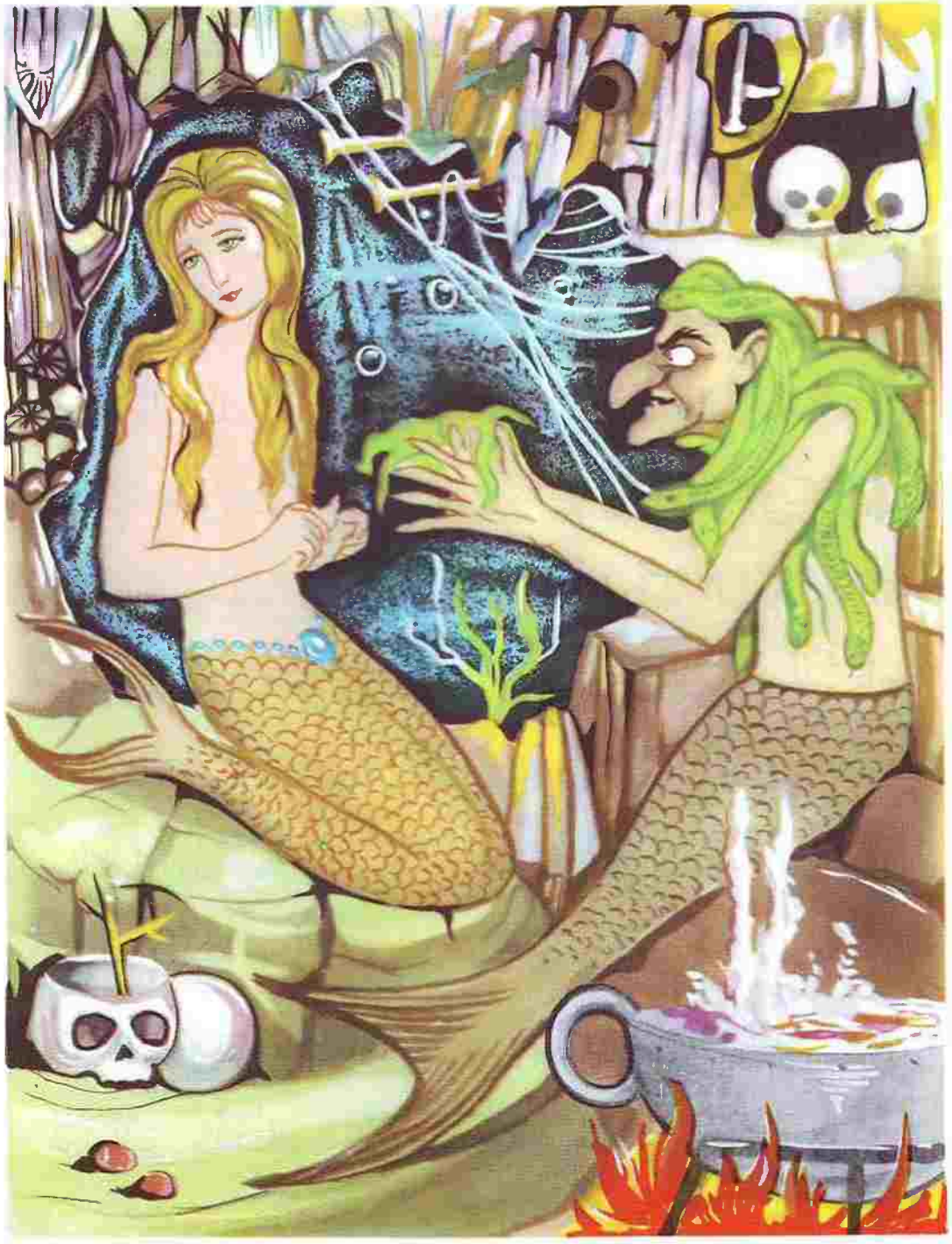

الْيَوْمِ أَعْمَالَهَا ، فَلَعَلَّهَا تُعِينُنِي وَتُزَوِّدُنِّي بِبَعْضِ النَّصَائِحِ» .

وَتَوَجَّهَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ السَّاحِرَةُ ، فَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الْغَابَةِ تَتَمَرَّغُ فِيهَا حَيَّاتُ الْبَحْرِ، وَتَتَقَلَّبُ ظَهْراً لِبَطْنٍ ، وَكَانَ مَسْكَنُ السَّاحِرَةِ فِي وَسَطِ تِلْكَ السَّاحَةِ، وَقَدْ شُيِّدَ مِنْ عِظَامِ الْغَرْقَى ، فَوَجَدَتْهَا جَالِسَةً فَوْقَ حَجَرٍ ضَخْمٍ تُطْعِمُ سَرَطَانًا كَانَ فِي كَفِّهَا ، كَمَا يُطْعِمُ الْبَشَرُ الْبَلَابِلَ ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا قِطَعَ السُّكَّرِ ، وَكَانَ يَحْلُو لِهذِهِ السَّاحِرَةِ الْعَجُوزِ أَنْ تُسَمِّيَ الثَّعَابِينَ دَجَاجَهَا الْمَحْبُوبَ ، وَأَنْ تَجْعَلَهَا تَلْتَفُّ حَوْلَ صَدْرِهَا الْمُقَفَّعِ .

فَمَا إِنْ أَبْصَرَتْ بِالْعَرُوسِ الصُّغْرَى مُقْبِلَةً إِلَيْهَا ، حَتَّى بَادَرَتْهَا قَائِلَةً :

– « أَعْرِفُ مَا تُرِيدِينَ ... إِنَّ رَغَبَاتِكِ مِنَ الْحُمْقِ بِمَكَانٍ ، غَيْرَ أَنَّنِي سَأُعِينُكِ عَلَيْهَا وَإِنْ جَلَبَتْ لَكِ الشَّقَاءَ وَالدَّمَارَ ...

إِنَّكِ تَرْغَبِينَ فِي أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْ ذَيْلِكِ ، وَتَسْتَعِيضِي عَنْهُ بِالْقِطعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَمْشِي بِهِمَا الْبَشَرُ ، حَتَّى يُغْرَمَ بِكِ الْأَمِيرُ ، وَيَتَزَوَّجَكِ وَيَمْنَحَكِ نَفْسًا خَالِدَةً ...» .

وَأَتْبَعَتْ كَلامَهَا بِقَهْقَهَةٍ عَالِيَةٍ مُخِيفَةٍ ، أَسْقَطَتْ مِنْ كَفِّهَا وَصَدْرِهَا السَّرَطَانَ وَالْحَيّاتِ ثُمَّ قَالَتْ :

– « سَأَعُدُّ لَكِ شَرَاباً تَحْمِلِينَهُ مَعَكِ ، وَتَشْرَبِينَهُ عِنْدَمَا تَصِلِينَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَجْلِسِينَ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ، وَسَوْفَ تَرَيْنَ ذَيْلَكِ قَدِ انْشَقَّ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى مَا يُسَمِّيهِ الْبَشَرُ سَاقَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ ، وَلَكِنَّ عَذَابَكِ سَيَكُونُ أَلِيمًا .

وَلَسَوْفَ تَخْلُبِينَ أَلْبَابَ الْبَشَرِ بِجَمَالِكِ الْفَتَّانِ ، وَقَدِّكِ الْمَشُوقِ، وَمِشْيَتِكِ الْخَفِيفَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَلَسْتُ أُخْفِي عَنْكِ أَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ تَخْطِينَهَا سَتُسَبِّبُ لَكِ آلامًا مُبَرِّحَةً كَمَا لَوْ كُنْتِ تَدُوسِينَ عَلَى الدَّبَابِيسِ ، فَإِنْ وَافَقْتِ عَلَى تَحَمُّلِ

مِثْلِ هذَا الْعَذَابِ ، فَإِنِّي بَاذِلَةٌ لَكِ الْعَوْنَ الَّذِي تَطْمَعِينَ فِيهِ» .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي الْأَمِيرُ وَفِي النَّفْسِ الْخَالِدَةِ :

– « سَوْفَ أَتَحَمَّلُ كَلَّ ذَلِكَ» .

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ :

– « وَاعْلَمِي أَنَّكِ إِذَا مَا اسْتَحَلْتِ إِلَى مَخْلُوقٍ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ ، فَلَنْ تَعُودِي أَبَدًا إِلَى عَرُوسٍ مِنْ عَرَائِسِ الْبَحْرِ، وَلَنْ تَرَيْ مَا حَييتِ قَصْرَ أَبِيكِ ، وَاعْلَمِي كَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُحِبَّكِ الْأَمِيرُ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَلا آثَرَكِ عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبَارِكَ زَوَاجَكُمَا رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ ، فَلَنْ تَظْفَرِي أَبَدًا بِنَفْسٍ خَالِدَةً ، فَفِي الْيَوْمِ الَّذِي يَتَزَوَّجُ فِيهِ امْرَأَةً أُخْرَى ، يَتَحَطَّمُ فُؤَادُكِ ،

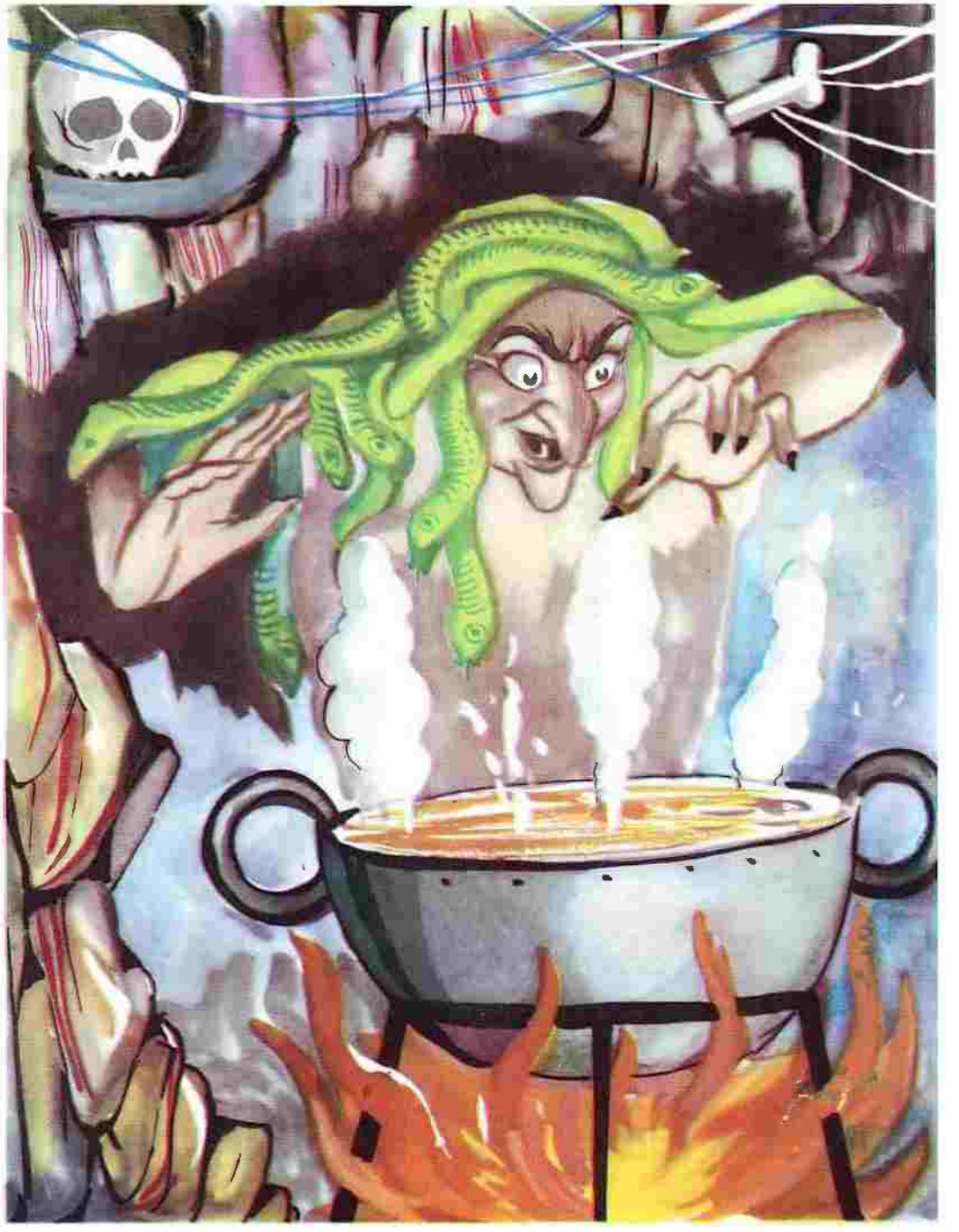

وَتَنْقَلِبِينَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ تَتَهَادَى فَوْقَ رُؤُوسِ الْأَمْوَاجِ» .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ وَقَدْ وَشَّحَتْ وَجْهَهَا صُفْرَةٌ وَلا صُفْرَةُ الأَمْوَاتِ :

– « إِنِّي أُوَافِقُ عَلَى كُلِّ مَا تَقُولِينَ» .

فَاسْتَأْنَفَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ كَلامَهَا وَقَالَتْ :

– « فَعَلَيْكِ إِذَنْ أَنْ تَنْقُدِينِي أَجْرِي ... إِنَّ صَوْتَكِ أَجْمَلُ صَوْتٍ بَيْنَ عَرَائِسِ الْمَاءِ ، وَإِنَّكِ لَتَأْمُلِينَ أَنْ تَأْسِرِي بِهِ قَلْبَ الْأَمِيرُ ، غَيْرَ أَنَّنِي أُرِيدُهُ أَجْرًا لِصَنِيعِي» .

فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ الصُّغْرَى مُتَحَيِّرَةً :

– « إِذَا أَنْتِ أَخَذْتِ صَوْتِي فَمَاذَا يَبْقَى لِي ؟»

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ بِلَهْجَةِ الْوَاثِقِ :

– « يَبْقَى لَكِ جَمَالُ طَلْعَتِكِ وَلُطْفُ مِشْيَتِكِ وَسِحْرُ

عَيْنَيْكِ ، وَحَسْبُكِ كُلُّ هذَا فِي سبِيلِ الظَّفَرِ بِقَلْبِ إِنْسَانٍ ... فَتَشَجَّعِي يَا ابْنَتِي ، وَمُدِّي لِسَانَكِ لأَدْهِنَهُ بِدِهَانٍ سِحْرِيّ ، وَلَكِ مِنّي بَعْدَ ذلكَ مَا وَعَدْتُكِ بِهِ مِنْ شَرَابٍ».

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ :

– « لِيَكُنْ مَا تُرِيدِينَ يَا خَالَةُ» .

وَدَهَنَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ لِسَانَ الْأَمِيرَةِ الصُّغْرَى ، فَانْقَلَبَتْ خَرْسَاءَ ، وَتَنَاوَلَتِ السَّاحِرَةُ بَعْدَ عَمَلِهَا الْفَظِيعِ قِدْراً وَضَعَتْهَا عَلَى النَّارِ ، لِتُغْلِيَ فِيهَا الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ الَّذِي سَتَصْنَعُهُ .

وَحِينَما رَجَعَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، كَانَ كُلُّ مَنْ فِيهِ يَغِطُّ فِي النَّوْمِ ، فَلَمْ تَجْرُؤْ مَعَ هذَا عَلَى الدُّخُولِ ، فَكَيْفَ تُكَلِّمُهُمْ ، وَكَيْفَ تُوَدِّعُهُمُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ ، فَشَعَرَتْ أَنَّ قَلْبَهَا يَتَفَطَّرُ حُزْنًا وَأَسًى .

وَانْدَفَعَتْ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسَتْ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ،

وَشَرِبَتْ الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ ، فَأَحَسَّتْ فِي الْحَالِ بِانْشِقَاقِ ذَيْلِهَا كَأَنَّ سَيْفًا مَاضِيًا قَدْ بَتَرَهُ نِصْفَيْنِ ، فَوَقَعَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ كَانَتِ الشَّمْسُ تَسْطَعُ أَشِعَّتُهَا فَوْقَ الْمَاءِ وَكَانَتْ حَرَارَتُهَا تَسْلُخُ جِلْدَ عَرُوسِ الْمَاءِ ، وَلكِنَّهَا تَعَزَّتْ عَنْ هذَا بِرُؤْيَةِ الْأَمِيرُ الشَّابِّ وَاقِفاً بِإِزَائِهَا يُحَدِّقُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ السَّوْدَاوَيْنِ .

وَأَحْنَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ رَأْسَهَا ، فَرَأَتْ أَنَّ ذَيْلَ السَّمَكَةِ فِيهَا قَدِ اخْتَفَى ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ سَاقَانِ بَيْضَاوَانِ جَمِيلانِ .

فَسَأَلَهَا الْأَمِيرُ مِنْ تَكُونُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلَتْ ؟ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ نَظْرَةً حُلْوَةً حَزِينَةً ، دُونَ أَنْ تَسْتَطِيعَ النُّطْقَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمْ يُثْقِلِ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا بِالسُّؤَالِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا ، وَصَحِبَهَا إِلَى قَصْرِهِ ، وَعَانَتِ الْمِسْكِينَةُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ خَطَتْهَا آلامًا مُبَرِّحَةً ، وَلكِنَّهَا صَعِدَتْ سُلَّمَ الرَّخَامِ مُتَأَبِّطَةً

ذراع الْأَمِيرِ بِرَشَاقَةٍ أُعْجِبَ بِهَا جَمِيعُ النَّاظِرِينَ ، إِعْجَابَهُمْ بِجَمَالِهَا السَّاحِرِ .

وَأَقْبَلَتِ الْجَوَارِي تُغَنّي لِلأَمِيرِ ، وَتُسْمِعُهُ رَخِيمَ النَّغمَاتِ ، فَصَفَّقَ لَهَا طَوِيلاً وَهُوَ يَبْتَسِمُ لعَرُوسِ الْبَحْرِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِها :

– « آهِ لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنّي ضَحَّيْتُ مِنْ أَجْلِهِ بِصَوْتٍ أَجْمَلَ مِنْ هذِهِ الأَصْوَاتِ ! »

وَعَمَدَتِ الْجَوَارِي بَعْدَ الْغِنَاءِ إِلَى الرَّقْصِ ، فَشَارَكَتْهَا عَرُوسُ الْبَحْرِ فِيهِ ، رَاقِصَةً عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا فِي خِفَّةٍ أَدْهَشَتِ الْحَاضِرِينَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَيَّ عَذَابٍ قَاسَتْهُ فِي ذلِكَ الرَّقْصِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي أَلْبَسَها الْأَمِيرُ حُلَّةَ الْفُرْسَانِ ، فَامْتَطَى كُلٌّ مِنْهُمَا جَوَاداً مُطَهَّماً ، وَسَارَا مَعاً يَطُوفَانِ بِالْغَابَاتِ ، ثُمَّ تَرَجَّلا وَأَخَذَا يُصَعِّدَانِ فِي الْجِبَالِ ، فَدَمِيَتْ قَدَمَاهَا وَهِيَ لا تَفْتَأُ تَضْحَكُ وَتَبْتَسِمُ .

وَعِنْدَمَا عَادَا إِلَى الْقَصْرِ ، وَأَوَى كُلُّ مَنْ فِيهِ إِلَى فِرَاشِهِ نَزَلَتْ إِلَى الْبَحْرِ لِتُرَطِّبَ بِمَائِهِ الْبَارِدِ قَدَمَيْهَا الْمُحْتَرِقَتَيْنِ ، فَخَفَقَ فُؤَادُهَا بِذِكْرَى وَطَنِهَا وَأَهْلِهَا .

وَذَاعَ فِي الْقَصْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ خَبَرٌ يَقُولُ إِنَّ الْأَمِيرَ يُعِدُّ سَفِينَةً لِلذَّهَابِ بِهَا إِلَى زِيَارَةِ مَمْلَكَةٍ مُجَاوِرَةٍ ، وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَ الْمَلِكِ .

سَمِعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ هذَا النَّبَأَ ، فَاضْطَرَبَتْ لَهُ وَأَزْعَجَهَا ، وَعَلِمَتْ أَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ حَانَتْ .

وبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ رَكِبَ الْأَمِيرُ وَحَاشِيَتُهُ ، وَفِيهِمْ عَرُوسُ الْبَحْرِ ، سَفِينَةً جَمِيلَةً

وَسَارَتْ تَمْخُرُ بِهِمْ عُبَابَ الْبَحْرِ .

وَفِي الصَّبَاحِ دَخَلَتِ السَّفِينَةُ مِينَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْمُجَاوِرَةِ ، فَدُقَّتِ الْأَجْرَاسُ احْتِفَاءً بِقُدُومِهَا وَصَدَحَتِ الْمُوسِيقَى مِنْ أَعَالِي الْأَبْرَاجِ ، وَاصْطَفَّتِ الْجُنُودُ تَحْتَ الْأَعْلَامِ الْخَفَّاقَةِ تُرَحِّبُ بِالْأَمِيرِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي أَعْيَادٍ مَوْصُولَةٍ ، وَمَآدِبَ مُتَلاحِقَةً ، يَسُودُهَا الرَّقْصُ وَالغِنَاءُ وَالْمُوسِيقَى ، حَتَّى عَمَّ الْبِشْرُ كُلَّ حَيٍّ فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ .

وَمُنْذُ أَنْ وَقَعَ نَظَرُ عَرُوسِ الْبَحْرِ عَلَى خَطِيبَةِ الْأَمِيرِ الَّتِي سَتُصْبِحُ زَوْجَتَهُ ، أُخِذَتْ بِجَمَالِهَا وَحُسْنِهَا وَرِقَّةِ خِلالِهَا ، فَغَبَطَتْهَا عَلَى سَعَادَتِهَا ، وَلَمْ تُضْمِرْ لَهَا فِي جَوَانِحِهَا شَيْئًا مِنَ الْحِقْدِ وَالْبَغْضَاءِ .

وَأَزِفَ يَوْمُ زَوَاجِ الْأَمِيرِ ، فَزُفَّتْ إِلَيْهِ عَرُوسُهُ فِي احْتِفَالٍ

بِهِيجٍ شهِدَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ وهِيَ تُدْرِكُ أَنَّها سَتُفَارِقُ عَمَّا قرِيبٍ هذِهِ الدُّنْيَا ، بَلْ سَتُفَارِقُ الْحَبِيبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ هَجَرَتْ وَطَنَهَا وَأَهْلَهَا ، وَضَحَّتْ بِصَوْتِهَا الْجَمِيلِ ، وَقَاسَتْ أَشَدَّ الْآلَامِ .

وَحِينَ هَبَطَ الْمَسَاءُ ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ سَفِينَةَ الْأَمِيرِ ، وَذَهَبَا يَقْضِيَانِ شَهْرَ الْعَسَلِ فِي بَعْضِ الْبِلادِ النَّائِيَةِ ، وَرَحَلَتْ مَعَهُمَا حَاشِيَةُ الْأَمِيرِ وَحَاشِيَةُ الْأَمِيرَةِ .

وَقَضَى الْمُسَافِرُونَ لَيْلَةً مِنْ أَسْعَدِ اللَّيَالِي فِي السَّفِينَةِ ،

أُوقِدَتْ فِيهَا الْمَصَابِيحُ فِي طُولِ السَّفِينَةِ وَعَرْضِهَا ، وَعُلِّقَتِ الزِّينَاتُ ، وَدَارَتْ لَذَائِذُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا عَرُوسُ الْبَحْرِ فَكَانَتْ تُشَارِكُ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْمَبَاهِجِ ، غَيْرَ أَنَّ صَدْرَهَا كَانَ مَمْلُوءًا بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ .

وَعِنْدَ الْهَزِيعِ الْأَخِيرِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْفَضَّ الْحَفْلُ ، وَدَخَلَ الْعَرُوسَانِ مَخْدَعَهُمَا ، وَنَامَ الْقَوْمُ وَسَادَ السُّكُونُ .

وَبَقِيَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ سَاهِرَةً ، وَصَعِدَتْ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، وَأَخَذَتْ تُحَدِّقُ إِلَى الْأُفُقِ الْبَعِيدِ وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : مِنْ هُنَا سَوْفَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَسَوْفَ أُودِّعُ الْحَيَاةَ عِنْدَ ظُهُورِ أَوَّلِ شُعَاعٍ مِنْهَا .

وَعَلَى حِينِ فَجْأَةٍ بَرَزَتْ شَقِيقَاتُهَا مِنَ الْبَحْرِ شَاحِبَاتِ الْوَجْهِ مَقْصُوصَاتِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَ لها :

– « لَقَدْ قَصَصْنَا شَعْرَنَا وَأَعْطَيْنَاهُ السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ ، لِتَشُدَّ أَزْرَكِ

وَتُنْقِذَكِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَقَدَّمَتْ لَنَا هذِهِ السِّكِينَ الْحَادَّةَ ، فَخُذِيهَا وَأَغْمِدِي نَصْلَهَا فِي قَلْبِ الْأَمِيرِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَعِنْدَمَا يَنْسَكِبُ دَمُهُ فَوْقَ قَدَمَيْكِ فَسَوْفَ تَتَّصِلاَنِ وَتَسْتَحِيلاَنِ إِلَى ذَيْلِ سَمَكَةٍ كَمَا كَانَتَا ، ثُمَّ تَعُودِينَ عَرُوسًا مِنْ عَرَائِسَ الْبَحْرِ . فَتَنْزِلِينَ مَعَنَا إِلَى أَعْمَاقِ الْمَاءِ ، وَلَنْ تَحُولِي إِلَى زَبَدٍ إِلا عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ ثَلثَمِائَةِ عَامٍ مِنَ الْعُمْرِ . فَعَجِّلِي وَلا تَتَوَانَيْ فَقَدْ بَدَأَ خَيْطُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ يَلُوحُ فِي الْأُفُقِ فَلابُدَّ مِنْ مَوْتِ أَحَدِكُمَا ، فَاقْتُلِيهِ وَعُودِي إِلَيْنَا».

وَغصْنَ بَعْدَ ذلِكَ فِى طَيَّاتِ الْأَمْوَاجِ.

وَمَضَتْ العَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى مَخْدَعِ الْأَمِيرِ ، فَدَخَلَتْهُ وَرَأَتْهُ نَائِمًا وَقَدْ أَلْقَتْ عَرُوسُهُ بِرَأْسِهَا إِلَى صَدْرِهِ ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْهُمَا ، وَرَفَعَتِ السِّكِّينَ بِيَدٍ مُرْتَجِفَةٍ ، وَنَظَرَتْ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الْأُفُقِ وَقَدْ بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَشُقُّ فِيهِ السُّحُبَ

ثُمَّ ... رَمَتْ بِالسِّكّينَ إِلَى الْبَحْرِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَرَى نُقَطاً مِنَ الدَّمِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ السِّكّينُ ، وَنَظَرَتْ نَظْرَةً أَخِيرَةً إِلَى الْأَمِيرِ وَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي الْمَاءِ ، فَشَعَرَتْ أَنَّ جِسْمَهَا يَتَحَوَّلُ إِلَى زَبدٍ .

وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَسَقَطَتْ أَشِعَّتُهَا الْخَيِّرَةُ عَلَى الزَّبَدِ البَارِدِ ، فَأَحَسَّتِ العَرُوسُ الصُّغْرَى بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ ، فَتَطَلَّعَتْ إِلَى الشَّمْسِ وَإِلَى السُّحُبِ الحُمْرِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا ، وَلَمَحَتْ فِي الجَوِّ آلافَ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّفَّافَةِ تُرَفْرِفُ فَوْقَهَا ، وَتَهْمِسُ بِنَغَمٍ عَذْبٍ لا تَسْمَعُهُ أُذُنُ إِنْسَانٍ .

وَلاحَظَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ أَنَّ لَهَا جِسْماً قَدِ انْبَثَقَ مِنَ الزَّبَدِ ، وَشَابَهَ أَجْسَامَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ، فَتَسَاءَلَتْ حَيْرَى :

– « أَيْنَ أَنَا ؟»

فَسَمِعَتْهُنَّ يَقُلْنَ لَهَا :

– « أَنْتِ عِنْدَ بَنَاتِ الْهَوَاءِ . إِنَّ عَرَائِسَ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُنَّ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلا يُمْكِنُهُنَّ الْحُصُولُ عَلَى تِلْكَ النَّفْسِ إِلاَّ بِقُوَّةِ الْحُبِّ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي قَلْبِ الرَّجُلِ ، وَنَحْنُ بَنَاتِ الْهَوَاءِ ، لَيْسَ لَنَا كَذلِكَ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلكِنْ نَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَنَطِيرُ إِلَى الْبِلادِ الْحَارَّةِ لِنُرَطِّبَ الْجَوَّ ، وَنُنْقِذَ النَّاسَ مِنْ لَهَبِ الْحَرِّ ، وَنَبُثُّ الْجَوَّ عِطْرَ الْأَزْهَارِ ، فَحَيْثُمَا مَرَرْنَا ، نُنْعِشُ النَّاسَ وَنَهَبُهُمُ الصِّحَّةَ ، فَإِذَا امْتَدَّتْ أَعْمَالُنَا الصَّالِحَةُ إِلَى ثَلاثِ مِئَةِ عَامٍ ، نَكْسِبُ بَعْدَهَا نَفْساً خَالِدَةً ، وَنُشَارِكُ النَّاسَ فِي سَعَادَتِهِمُ الْأَبَدِيَةِ» .

وَسَكَتْنَ قَلِيلاً ثُمَّ أَرْدَفْنَ قَائِلاتٍ :

– « وَلَقَدْ بَذَلتِ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْمِسْكِينَةُ نَفْسَ مَا نَبْذُلُ مِنْ جُهْدٍ ، فَتَعَذَّبْتِ كَمَا نَتَعَذَّبُ ، وَخَرَجْتِ مِنْ تَجَارِبِكِ

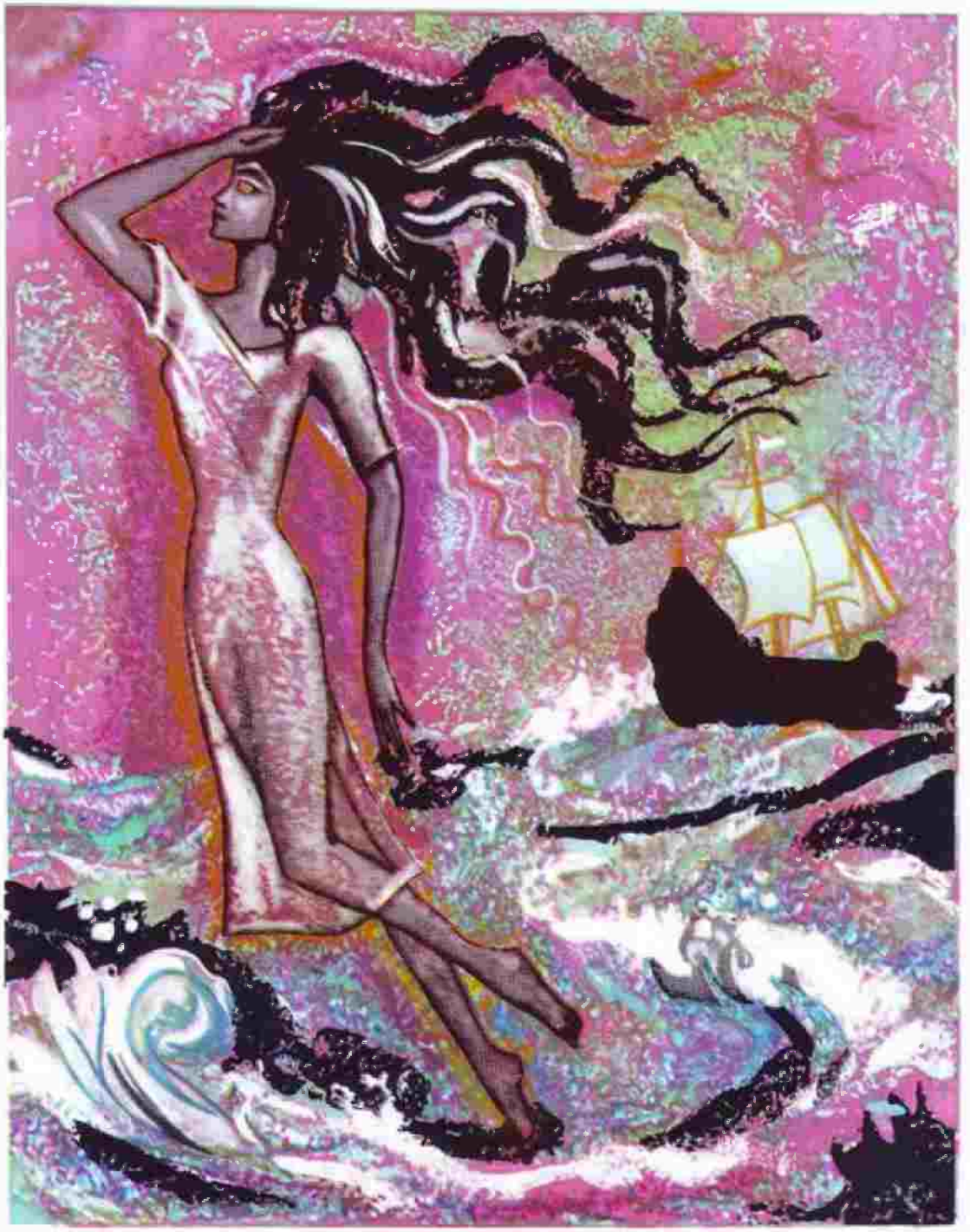

فَائِزَةٌ مُنْتَصِرَةٌ ، وَارْتَفَعْتِ إِلَى عَالَمِ أَرْوَاحِ الْهَوَاءِ ، فاعْتَمِدِي فِيهِ عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَكْسِبِي نَفْساً خَالِدَةً » .

فَرَفَعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ ذِرَاعَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَذَرَفَتِ الدَّمْعَ .

وَكَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْجَلَبَةُ قَدْ عَادَتَا إِلَى السَّفِينَةِ ، فَرَأَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ الْأَمِيرَ وَزَوْجَتَهُ يُطِيلانِ التَّحْدِيقَ إِلَى الْمَوْجِ الْمُزْبِدِ ، وَالْكَآبَةُ مُرْتَسِمَةٌ عَلَى وَجْهَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا عَرَفَا أَنَّهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِي حِضْنِ الْمَاءِ .

كَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِإِزَائِهِمَا ، وَلَكِنَّ أَعْيُنَ الْبَشَرِ لا تَرَى الْأَرْوَاحَ الشَّفَّافَةَ ، فَابْتَسَمَتْ لِلأَمِيرِ ، وَطَبَعَتْ قُبْلَةً عَلَى خَدِّ زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ رَكِبَتْ سَحَابَةً وَرْدِيَّةً فِي صُحْبَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهَوَاءِ ، وَحَلَّقَتْ فِي كَبِدِ الْفَضَاءِ ...

أسئلة في القصة

١ – من أي شيء بني قصر ملك البحر ؟

٢ – ما الصفة التي كانت تغلب على العروس الصغرى ؟

٣ – ماذا روت الأخت الكبرى عندما عادت من رحلتها ؟

٤ – صف السفينة التي رأتها الأخت الصغرى حين برزت من الماء ؟

٥ – ماذا فعلت لما هبت العاصفة وغرقت السفينة ؟

٦ – بماذا حدثتها جدتها عندما ذهبت إليها تستوضحها شئون البشر ؟

٧ – كيف تستطيع عروس أن تكسب نفساً خالدة ؟

٨ – ما الذي كان في كف ساحرة الْبَحْر وحول صدرها ؟

٩ – بأية وسيلة تخلصت عروس البحر من ذيلها ؟ وماذا تحملت في هذا السبيل ؟

١٠ – ما المصير الذي كان ينتظر عروس البحر لو أعرض عنها الأمير وتزوج أخرى ؟

١١ – أي أجر طلبته الساحرة من عروس البحر لقاء مساعدتها ؟

١٢ – هل غنت عروس البحر في قصر الأمير ؟ وهل رقصت ؟

١٣ – أحقدت عروس البحر على عروس الأمير ؟

١٤ – على أي حال برزت شقيقات عروس البحر ؟ وماذا أعطينها ؟

١٥ – هل قتلت عروس البحر الأمير ؟ وماذا صنعت بنفسها ؟

١٦ – كيف تستطيع بنات الهواء اكتساب نفس خالدة ؟

١٧ – اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .

رقم الإيداع	٢٠٠٥/٢٢١٩٢
الترقيم الدولى	977-02-6899-2 ISBN

٧/٢٠٠٥/٨٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

المكتبة الخضراء للأطفال

روائع من القصص ، تتألق بالخيال والأسطورة تقدمها « دار المعارف » لناشئة الأقطار العربية فيجدون فيها ما يناسب خيالهم ويساير أرواحهم وتطلعاتهم ، فى إطار التعبير الجيد والحروف المشكولة ، والإخراج الفنى المزين بالرسوم واللوحات الملونة .

وهى قصص يعتز بها كل فتى وفتاة ، ويعتز بها أولياء أمور أبنائنا ورجال التربية والتعليم ، فهى تغذى النشء وترفع نفوسهم وتوجههم الوجهة الصحيحة إلى طريق الخير والجمال.

صدر منها :

١ - أطفال الغابة
٢ - سندريلا
٣ - السلطان المسحور
٤ - القداحة العجيبة
٥ - البجعات المتوحشات
٦ - الأميرة الحسناء
٧ - الرفيق المجهول
٨ - الأميرة والثعبان
٩ - الملك عادل
١٠ - البلبل
١١ - الأنف العجيب
١٢ - الجميلة النائمة
١٣ - عروس البحر
١٤ - عقلة الأصبع
١٥ - الأخوات الثلاث
١٦ - البنت والأسد
١٧ - المغامر الجرىء
١٨ - قصير الذيل
١٩ - الليمون العجيب
٢٠ - فى جزيرة النور
٢١ - الفأرة البيضاء
٢٢ - جبل العجائب
٢٣ - اليس فى بلاد العجائب
٢٤ - الراعى الشجاع
٢٥ - الصياد الماهر
٢٦ - الكرة الذهبية
٢٧ - الشاطر محظوظ
٢٨ - الحصان الطيار
٢٩ - أميرة القصر الذهبى
٣٠ - دنانير لبلبة
٣١ - نهر الذهب
٣٢ - خاتم السلطان
٣٣ - المرآة السحرية
٣٤ - بنات الصياد
٣٥ - الوزير الحكيم
٣٦ - سر اللحية البيضاء
٣٧ - سر الشعر الأسود
٣٨ - القدم الذهبية
٣٩ - الرحلة العجيبة لعروس النيل
٤٠ - سر العلبة الذهبية
٤١ - التاج المسحور
٤٢ - عفاريت نصف الليل
٤٣ - النجم الكبير
٤٤ - مملكة العدل
٤٥ - الصياد المسكين والمارد اللعين
٤٦ - بدر البدور والحصان المسحور
٤٧ - مغامرة زهرة مع الشجرة
٤٨ - أمير فى بلاد الأقزام
٤٩ - الطبلة المسحورة
٥٠ - حلم من دخان
٥١ - بلاد النهر
٥٢ - حسناء والثعبان الملكى
٥٣ - تائه فى القناة
٥٤ - سلطان ليوم واحد
٥٥ - ضوء النهار والملك زنكار

دار المعارف